[270] 2 ـ وقال آخرون: إنّ َ شركهُ وكفرهُ كانا بسبب ما رَآه لِنفسه مِن إستقلال في المالكية وما تصوره مِن دوام وأبدية هذه الملكية. 3 ـ الإِحتمال الثّالث أنّه لا يبعد أن يكون الرجل قد أنكر الخالق في بعض كلامه ولم يذكر القرآن هذا المقطع من كلامه. وقد يتوضح الأمر بقرينة جواب الرجل المؤمن، لذا نرى في الآية التي بعدها أنّ َ الرجل المؤمن قالَ لصاحب البستان ما مضمونه: إن كنت أنكرت وجود خالقك وسلكت طريق الشرك، إِلاّ َ أنّني لا أفعل ذلك أبداً. على أي حال، ثمّة علاقة واضحة تربط بين الإِحتمالات الثلاثة، ويُمكن أن يكون كلام الرجل المؤمن المُوَحّد إشارة الى هذه الإِحتمالات جميعاً. ثمّ عَمِد الرجل الموحّد المؤمن إِلى تحطيم كُفر وغرور ذلك الرجل (صاحب البستان) فقال: (لكنّا هو الله ربّي)(1). وإنّي أفتخر بهذا الإِعتقاد وأتباهى به، إنّك تفتخر بأنّك تملك بستاناً ومزرعة وفواكه وماءاً كثيراً; إِلاّ َ أنّني أفتخر بأنّ َ الله ربّي، إِنّ َهُ خالقي ورازقي; إِنّك تتباهى بدنياك وأنا أفتخر بعقيدتي وإِيماني وتوحيدي: (ولا أشرك بربّي أحداً). وبعد أن أشار إِلى قضية التوحيد والشرك اللذين يُعتبران مِن أهم المسائل المصيرية، جدّ َد لومه لصاحبه قائلا: (ولولا إِذ دَخلت جنتك قلت ما شاء الله)(2). فلماذا لا تعتبر كل هذه النعم مِن الخالق جلّ َ وعلا، ولماذا لم تشكره عليها. ولماذا لم تقل: (لا قوة إِلاّ َ بالله). فإِذا كُنت قد هيّ َأت الأرض وبذرت البذور وزرعت الغرس وربيت الأشجار، وفعلت كلّ َ شيء في وقته المناسب حتى وصل الأمر إلى ما وصل إِليه; _____ 1 ـ كلمة (لكنّا) في الأصل كانت (لكن إنّ َ) ثمّ دمجت وأصبحت هكذا. 2 ـ جمله (ما شاء الله) لها محذوف إِذ تكون مع التقدير: ما شاء الله كان، أو: ما شاء الله، فإِنّ َ هذا هو الشيء الذي يريدهُ الله.